هذا سمعت انه كان عند اغواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه
حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من هذا الماء في سقائها وهو
يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس
بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم
تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا
الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت
مرتفعا من الارض كالرابية ياتيه السيل فياخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت
بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فنظروا طايرا فقالوا ان هذا
الطاير ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء
فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك
فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال ذلك ام اسمعيل وهي
تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم
نشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حتى شب فلما ادرك زوجوه
امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل وتقدم تمام هذه
القصة في سورة البقرة ثم قال ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي المقفر الذي لا شي فيه الا لاقامة الصلاة عند
بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك
متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستبعدين بجوارك الكريم متقربين
اليك بالعكوف عند بيتك والطواف والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة
التي اثرت بها سكان حرمك وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصود بالذات
من اسكانهم هناك والمقصود من الدعا توفيقهم لها فاجعل افئدة اي قلوبا محترقة
بالاشواق من الناس ومن للتبعيض والمعنى واجعل افئدة بعض الناس تهوي
اي تميل اليهم ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس
والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى
والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون وقال ابن عباس لو قال افئدة الناس لحنت
اليه فارس والروم والناس كلهم ولما دعا لهم بالدين دعا لهم بالرزق فقال وارزقهم
من الثمرات ولم يقل وارزقهم الثمرات وذلك يدل على ان المطلوب بالدعا ايصال بعض
الثمرات اليهم ويحتمل ان يكون المراد بايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم
على سبيل التجارات كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي حتى توجد فيه الفواكه الصيفية
والربيعية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجب وان يكون المراد عمارة
القرى بالقرب منها لتحصل تلك الثمار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال
كانت الطايف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم ذلك رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا
للحرم لعلهم يشكرون يدل على ان المقصود للعاقل من منافع الدنيا ان يتفرغ لاداء

اواصل بيت من جرهم

العبادات

99

العبادات واقامة الطاعات فان ابراهيم عليه السلام بين انه انما طلب تيسير المنافع
على اولاده لاجل ان يتفرغوا لاقامة الطاعات واداء الواجبات وما طلب عليه السلام
من الله تيسير المنافع لاولاده وتسهيلها عليهم ذكر انه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور
في المستقبل فانه تعالى هو العالم بها والمحيط باسرارها فقال ربنا انك تعلم ما نخفي اي
نسر وما نعلن وهذا هو المطلوب الرابع والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا
منا قيل وما نخفي من الوجد بسبب حصول الفرقة بيني وبين اسماعيل وما نعلن من البكا
وقيل ما نخفي من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت
له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا
يضيعنا واختلف في قوله تعالى وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما فقيل من تتمة قول
ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شي في اي مكان
والاكثرون على انه قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال كقوله تعالى وكذلك
يفعلون ولفظة من تفيد الاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شي ما ولما تمم ابراهيم
عليه السلام ما دعا به اتبعه الحمد على ما رزقه من النعم بقوله الحمد لله اي المستجمع
لصفات الكمال الذي وهب لي اي اعطاني على الكبر اي وهبا وانا كبير ايس من
الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من المعجزة اسمعيل
واسحق ومقدار ذلك السن غير معلوم من القران وانما يرجع فيه الى الروايات فقال
ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن
مائة واثنتي عشرة سنة فان قيل ان ابراهيم انما ذكر هذا الدعا عند ما اسكن اسمعيل
وامه في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولد اسحق فكيف يمكنه ان يقول ذلك
اجيب بان هذا يقتضي ان ابراهيم انما ذكر هذا الكلام في زمن اخر لا عقب ما تقدم
من الدعا قال الرازي ويمكن ايضا ان يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعا بعد
كبر اسمعيل وظهور اسحق وان كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى تنبيه قوله
على الكبر بمعنى مع كقوله • اني على ما ترين من كبري • اعلم من حيث يوكل الكتف
وهو في موضع الحال ولما ذكر الدعا على سبيل الرمز والتعريض لا على وجه الافصاح
والتصريح قال انه ربي اي المحسن الي لسميع الدعا اي لمجيبه فان قيل الله تعالى
يسمع كل دعا اجابه او لم يجبه اجيب بان هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد
به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده المطلوب الخامس قوله رب اجعلني مقيم الصلاة
اي معدلا لها مواظبا عليها تنبيه في الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
لان قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يدل على
ان ترك المنهيات لا يحصل الا من الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل على
ان فعل المامورات لا يحصل الا من الله تعالى وذلك تصريح بان ابراهيم عليه السلام
كان مصرا على ان الكل من الله تعالى وقوله تعالى للتبعيض وانما ذكر هذا التبعيض ومن
ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني اي واجعل بعض ذريتي كذلك لان كلمة من

سدنا

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)